Jadara Journal for Studies and Research
Volume (9), No. (1)(2023), pp: 47-66.
P-ISSN:2313-5824
E-ISSN :2958-2792

مجلة جدارا للدراسات والبحوث
المجلد التاسع
العدد (١)
(2023)

DOI:https://doi.org/10.54161/jrs.v9i1.289 http://journal.jadara.edu.jo

Formal Structuralism and its Application in the Poem (Cacophony in Love's Tone)

Omar Abdullah Nayef Al-Anbar[1*] and Almothanna Madallah Alasasfeh[2]

[1]Department of Arabic language and literature, Faculty of Arts, Isra University, Jordan.

[2]Department of Arabic language and literature, Faculty of Arts, the university of Jordan, mothannahabashneh@gmail.com

*Correspondence: omaralanbar@yahoo.com

Received :01/03/2022 Accepted :6/07/2022

Abstract

This study is based on a comprehensive review of the formal structural approach as an internal approach to text analysis. This approach adopts an accurate practical analysis of text patterns according to the rule of networking the textual relationship and linking it to the nature of the text structures that are distributed in textual binaries and features such as: comprehensiveness, formal transformations, and the internal organization of the text. The study shows how formal structuralism attempts to isolate literary texts from their authors and audience, and perhaps all the social, economic, political, philosophical and intellectual dimensions of the text. This is due to the fact that the idea of formal structuralism is based on the idea of internal and textual analysis that uses the linguistic features of the text. However, formal structuralism adopts a comprehensive and highly structured approach to analyze texts according to the principles of inclusivity, organization, transformations, internal movement, harmonic and antagonistic dichotomies within the text, and most importantly the principle of text independence. The study presents an analytical model for the poem (cacophony in the tone of love) according to the structural approach.

Keywords: structuralism, constructivism, linguistic, structural, critical, approaches.

مجلة جدارا للدراسات والبحوث
المجلد التاسع
العدد (ا)
(2023)

Jadara Journal for Studies and Research
Volume (9), No. (1)(2023), pp: 47-66.
P-ISSN:2313-5824
E-ISSN :2958-2792

DOI:https://doi.org/10.54161/jrs.v9i1.289 http://journal.jadara.edu.jo

البنيوية الشكلانية (بدايتها، مفاهيمها، منهجيتها)

وتطبيقها في قصيدة (نشاز في نغمة الحب)

عمر عبدالله نايف العنبر[1*] والمثنى مدالله العساسفة[2]

[1*]قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات، جامعة الإسراء، الأردن

[2]قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات، الجامعة الأردنية، الأردن،

mothannahabashneh@gmail.com

* للمراسلة: omaralanbar@yahoo.com

قبول البحث: 6 / 07 / 2022 استلام البحث: 1 / 3 / 2022

الملخص

يعتمد هذا البحث على مراجعة شاملة لمنهج البنيوية الشكلية باعتباره منهجًا داخليًا لتحليل النص، ويتبنى هذا المنهج تحليلًا عمليًا دقيقاً لأنماط النص وفقًا لقاعدة تشبيك العلاقة النصية وربطها بطبيعة هياكل النص التي يتم توزيعها في ثنائيات نصية وميزات، مثل: الشمولية، والتحولات الشكلية، والتنظيم الداخلي للنص. ويوضح هذا البحث كيف تحاول البنيوية الشكلية عزل النصوص الأدبية عن مؤلفيها وجمهورها، وربما جميع الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفلسفية والفكرية للنص. ويعود ذلك إلى أن فكرة البنيوية الشكلية تقوم على فكرة التحليل الداخلي والنصي الذي يستخدم السمات اللغوية للنص. ومع ذلك، تتبنى البنيوية الشكلية نهجًا شاملاً وعالي التنظيم لتحليل النصوص وفقًا لمبادئ الشمولية والتنظيم والتحولات والحركة الداخلية والثنائيات التوافقية والمضادة داخل النص، والأهم من ذلك مبدأ استقلالية النص، ويكشف هذا البحث خضوع البنيوية الشكلية لنظامها الخاص الذي لا يصدر أي أحكام حول جودة النص وشكليته؛ لأن البنيوية الشكلية منهج تحليلي داخلي، ويقدم هذا البحث نموذجاً تحليلياً لقصيدة (نشاز في نغمة الحب) وفق المنهج البنيوي.

الكلمات المفتاحية: البنيويات، البنائية الشكلانية، البنيوية اللغوية، التحليل البنيوي، المناهج النقدية.

المقدمة

تقدم البنائية الشكلانية تحولاً جذرياً نحو العلمية بوصفها: "تمتلك تراثاً طويلاً في تاريخ الفكر النقدي، على الرغم من أنَّ تكوينها حديث بالنسبة إلى تاريخ الربط بين الاستنتاج والاختيار"(جان بياجيه:1971م:111). وهذا التأريخ الطويل لا يقصد به زمنياً إذ: "يظهر من خلال تأثيرها على المشهد النقدي العربي، واستطاعت البنائية أنْ تسري بالنقد الأدبي نحو المنهجية من خلال أساليب تقارب العلمية في الطرح النقدي، وتنقسم البنيوية بحسب تطورها إلى ثلاثة مراحل، إذْ ظهرت بالمرحلة الأولى: البنيوية في مرحلتها المبكرة، وأما المرحلة الثانية فهي البنيوية، والمرحلة الثالثة: فكر ما بعد البنيوية، وهذه المراحل الثلاثة تتلوها نظرية العلامات، والحركة النسوية، وما بعد الماركسية، والحداثة، وما بعد الحداثة"(جون ليتشه:2008م:584). ويظهر التأثير البنائي في الساحة النقدية العربية بفعاليته وقوته المنهجية، وذلك دلالة

قاطعة على تأثير البنائية وقوة نفوذها في الساحة النقدية، وهكذا فإنَّ المنهج البنيوي أكثر المناهج النقدية الأدبية تأثيراً في النصوص الأدبية وتقديماً لأدوات التحليل الفعالة، إذْ نتجت مصطلحات نقدية، مثل:(النظام، والنسق، والبنية، والتعاقب، والتزامن وغيرها)، وربما تكون البنائية أكثر مناهج النقد الأدبي تنوعاً وتحقيقاً للتطور في النقد الأدبي.

وتظهر حدود هذا البحث في أربعة جوانب، أولها تحديد أهم ملامح بدايات البنيوية في الغرب، وثانيها تحديد أهم المفاهيم البنيوية الراسخة، وثالثها منهجية البنيوية التي تمثل أدواتها وطريقة تطبيقها في النص الأدبي، ورابعها تقديم نموذج تطبيقي من خلال تحليل قصيدة (نشاز في نغمة الحب)، ويأتي موقع هذا البحث ضمن المراجعة الشاملة النظرية التطبيقية للمنهج البنيوي.

وتصدر أهمية البحث عن فكرة مفادها أنَّ البنيوية الشكلانية تحتاج إلى مراجعة شاملة بوصفها منهجاً نقدياً أحدث نقلة نقدية في الأوساط الأدبية العربية نحو مفهوم العلمية بسبب تقدّم طُرق تحليل للأدب بطريقة علمية منهجية، وأشار رولان بارت إلى أنَّ:" البنيوية ليست مدرسة، أو حركة، أو مفردات، بل نشاط يمضي إلى ما وراء الفلسفة، ويتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية التي تحاول إعادة بناء الموضوع لتكشف عن القواعد التي تحكم وظيفته"(مانغونو دومنيك:2008م:26) وتحتاج البنائية إلى إعادة توصيف وفق المستجدات النقدية الأدبية، ولا بد من التأكيد على البنيوية:" تحيا بالاختلاف الواقع بين وعدها وممارستها"(جابر عصفور:1993م:34) ويعني ضرورة تقديم مراجعة منهجية للبنائية الشكلانية التي أسهمت في تأسيس التيارات النقدية التي تعقبها.

وتعتمد منهجية البحث على المنهج الوصفي الذي يصف الظواهر البنائية الشكلانية وفق انتظامها في المنهجي بطريقة علمية دقيقة لتحديد أهم ملامح البنائية الشكلانية ومفاهيمها ومنهجيتها، وينقسم هذا البحث إلى مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع والمجلات وثلاثة مباحث جاءت وفق الآتي:

- المبحث الأول: بدايات البنيوية الشكلانية وتطورها.
- المبحث الثاني: مفاهيم البنائية التكوينية وتجلياتها.
- المبحث الثالث: أدوات البنائية الشكلانية ومنهجيتها وخصائصها.

المبحث الأول: بدايات البنيوية الشكلانية وتطورها

إنَّ البنائية منهج نقدي داخلي ذو تأثير على النقد الأدبي العربي من خلال المفاهيم والأدوات التي تطورت على:" يدي اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير)"(دومينيك مانعونو:2008م:118) وفي بداية هذا القرن، وكتابه (دروس في علم اللغة العام) وهو مجموعة ملاحظات سجلها طلابه، وطبع لأول مرة عام (1915م)، فكان له تأثير سريع وعظيم في الدراسات اللغوية الحديثة (تاريخ آخر ترجمة إنكليزية له هو (1959م)، دليل على تأثير أفكار(سوسير) وبرهان على الاهتمام المتزايد باللغة لدى الناطقين بالإنكليزية) وفي هذا الكتاب طور(سوسير) عدداً من المفاهيم التي كان لها فيما بعد تأثير على الفكر البنيوي الحديث"(روبرت شولز:1984م:25).

وبدأت البنيوية بوصفها بحثاً عن: "شبكة الروابط وعلاقة المكونات بفرضيات يسعى الباحث إلى إثباتها من خلال العلاقات والروابط اللغوية التي تجسد محطات النص الموضوعية بالإدراك الصوري"(عمران الكبسي:1990م:46).

وربما توصف البدايات البنيوية الشكلانية بكونها لغوية المصدر، وقد كانت البنائية خروجاً منهجياً على النقد الخارجي المتجسد بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية التي تمثل النقد ما قبل البنائي، فالنص الأدبي وثيقة اجتماعية لعالم الاجتماع، ووثيقة سياسية للسياسي، ووثيقة اقتصادية للاقتصادي، وأمَّا الأدب وأديبته فيحتاج للبنائية الشكلانية، والنص الأدبي كانت تتنازعه الرؤى الخارجية (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) وجاءت البنائية بوصفها حلاً ممكناً لفرض أدبية الأدب أو العودة إلى النص الأدبي من خلال رؤية بنائية تستند إلى تقسيم النص إلى بنى وأنظمة وأنساق تبحث من خلال المستويات اللغوية.

وإنَّ المناهج النقدية التي تلاقي النجاح في بدايتها مثل: البنيوية، يمكن أنْ تجعل الفلاسفة والنقاد في حالة يمكن من خلالها أنْ يقدموا إضافات لتطوير المنهج، وربما يجدُ بعض النقاد إشكاليات يمكن معالجتها يحتمل أنْ تقدم إضافة جوهرية تعدل المنهج النقدي وتعدل أدائه، ويمكن أنْ يصل المنهج إلى حالة من التأزم ممّا يؤدي إلى البحث عن طرائق تعديل المنهج، فهذه من الدوافع التي أدت إلى تطور المنهج البنائي وظهور البنائيات.

ولا شك في أنَّ البنيوية الشكلانية ليست منهجاً مطبقاً بطريقة واحدة، فما يقوم به (ليفي ستروس) يختلف عن (بارت) و(ألتوسير) و(فوكو) و(لاكان) ولكن ثمة المشترك بينهم كأولوية البنيوي على التاريخي وأسبقية اللغة على الواقع وأهمية تأثير المنهج في النظرية والشكل في المحتوى، وليس ثمة مواقف مشتركة كالموقف من الذات أو اللغة أو التاريخ، وعلى الرغم من الاختلافات الكبيرة التي تصل حدّ التناقض بين زعمائها"(الزواوي بغورة:2002م:42) إلا أنَّ البنيويين لهم أسلوب ومنهجية، فالبنيوية بنيويات بحسب الفلسفة والتطبيق، ولكل منظور أي زاوية نظر الناقد أو الباحث من خلالها الأثر الأدبي، ويمكن أن تكون هذه الزاوية اجتماعية، أو نفسية، أو لغوية أو بلاغية أو علمية"(دومنيك مانغونو:2008م:107).

وتمثل البنيوية منهجيات قابلة للتعميم والتطبيق البنائي، إذْ يتباين البنائيون في أساليب تحليلهم للنصوص، ويرجع هذا التباين إلى تركيز البنيوية الشكلانية على الجانب اللغوي، وتهتم البنائية التكوينية بالجوانب الاجتماعية، وتبحث البنائية النفسية في المسارات النفسية للنصوص الأدبية، وتدرس النصوص الأدبية من خلال أدوات منهجية تُساعدُ على تبيان أبعاد النصوص الأدبية وتوجيهها وفق رؤية منهجية:"فالبنيوية لا ترى المعرفة الحقيقية بالأشياء متمثلة في الأشياء ذاتها كما تبدو لنا، وإنَّما في العلاقة القائمة بينها"(نشر ميريت:2003م:52).

وهكذا فإنَّ الاتجاه السائد يعد البنيوية منهجاً، ويفصله عن العلم أو الفلسفة، إذ يصف (تودوروف) البنيوية بأنَّها منهج تطور في مجال (علم اللغة) أو اللسانيات، وقد كان له عدد متزايد من الأنصار في جميع العلوم الإنسانية ومن ضمنها دراسة الأدب، ويُميزُّ ناقد آخر بين المنهج والأيديولوجيا، والناقد (روبرت شولز) يرى أنَّ الماركسية أيديولوجيا بينما

البنيوية منهج، أو كما يقول منهجية (Methodology) لكنها منهجية لا تبحث إلا عن وحدة جميع العلوم في نسق جديد من الإيمان"(فاضل ثامر:1994م:237). والبنائية تستند إلى فلسفة تملي على نقادها إتباع نماذجها والعمل بأدواتها، ويمثل الخروج عن أحد شروط المنهج البنائي إشكالية تؤثر على سيرورة الدراسة النقدية.

وإنَّ لكلمة البنائية قبل ارتباطها بأي منحى نفسي أو تكويني أو أنثروبولوجي دلالة واضحة توصف أنها: "تيار فكري من صفاته التركيز على العلاقات والاختلافات، أي ما يكون البنية، بعيداً من التفسير الجوهري: الماهيوي، ويشتمل على نقد الأسس والافتراضات المسبقة" (جون ليتشه،2008م:518). وهذه المفاهيم للبنائية تتشكل في سياق المقاربات النقدية للمفاهيم النقدية، وتوصف البنائية الشكلانية بأنَّها:" طريقة يعالج بها الناقد الأثر الأدبي معالجة لغوية وشكلية، وتتمثل في البحث عن العناصر أو الوحدات اللغوية الدالة، وعلاقتها بمجموع تنظيم الأثر، ويعطي لها الأولوية في التحليل من خلال إنشاء النماذج المستقاة من ذهن الناقد ومن الوحدة المنطقية القائمة في بنية الأثر"(دومنيك مانغونو:2008م:85).

ويمكن أنْ تتم المعالجة البنائية الشكلانية من خلال مستويات اللغة الموضوعية، وهي: الصوتية والصرفية والنحوية وغيرها من الممكنات البنائية التي تكشف الأنظمة المتخفية في النصوص الأدبية للوصول إلى نماذجها الشكلية، ويظهر أنَّ المنهج البنائي في مرحلته الأولى يبحث عن الجوانب اللغوية من خلال شبكة العلاقات النصية، وإنَّ سبب كشف العلاقات النموذج اللغوي الماثل في النص الأدبي، إذ تدعو: "إلى مفهوم النظام والكلية البنيوية، وكذلك مفهوم العلائقية الذي يحكم عناصر النظام، وتسعى إلى كشف القوانين الداخلية التي تحكم اللغة"(صلاح فضل:2007م:10).

والناقد البنيوي يبحث عن العلاقات والأنظمة والأنساق من أجل تبيان الملامح البنائية في النصوص الأدبية، ويمكن أنْ توصف البنيوية بأنَّها منهج يحاول تقديم النص الأدبي بأسلوب المقاربات العلمية التي تعتمد على لغة النص الأدبي.

ويظهر المنهج البنائي بوصفه:" زاوية نظر يمكن استخدامه في الكشف عن الطبيعة العلمية للنصوص الأدبية، إذْ تعلي البنائية في بداياتها من سلطة النظام الذي يختفي وراء البنية النصية الظاهرة، وربما توصف البنيوية بالريادية في تقديم منجزات في عددٍ من الحقول المعرفية الإنسانية والعلمية، فالبنيوية جهاز من المفاهيم يمكن تطبيقه على النصوص الأدبية لتقديم رؤية حاسمة في دراسة النصوص الأدبية، وبالجملة، فالبنيوية تشكل بالفعل طريقة خاصة للتحليل.

المبحث الثاني: مفاهيم البنائية الشكلانية وتجلياتها

ترتكز البنائية الشكلانية على أساس لغوي من خلال ممارسة لغوية لا علاقة لها بالجوانب الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الأخلاقية أو الخيالية، ويمكن وصف الأدب بأنه ممارسة تُعبرُ عنها اللغة في البنائية الشكلانية، ويوصف هذا عند منتقدي البنائية الشكلانية بأنّه إغلاق النص الأدبي وإبعاده عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي والخيالي، والنص عند البنائية الشكلانية لغة مغلقة على ذاتها، ولا علاقة له بالجوانب غير اللغوية، وأمَّا :"ماهية البنيوية بوصفها ممارسة نصية تستهدف دلالات البنية

من حيث هي شكل يقوم على مجموعة من الروابط والعلاقات الخفية، وهذه الفكرة تشكل أساساً نظرياً صلباً للبنيوية يتمثل في أنَّ البنائية: "ليست علماً، ولا فناً معرفياً، وإنَّما هي فرضية منهجية تحدد هوية الظواهر تتحدد بعلاقة المكونات وشبكة الروابط أكثر مما تتحد بماهيات الأشياء"(بشير ناوريريت:2007م:30).

وتبحث عن العلاقات والأنساق والأنظمة والبنى والمستويات الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية؛ للوصول إلى أسرار النصوص وتجلياتها، ويمكن أنْ يكون لكل نصٍ أدبي بنياته التي ينبغي البحث عن وظائفها وتحديدها، وتمثل البنائية الشكلانية محاولة للعودة إلى النص بعد اتجاه النقد الأدبي بالنص نحو المؤلف من خلال دراسة نفسيته وأبعاده الاجتماعية، فلا بدَّ من عودة إلى النص الأدبي والبحث في جوانبه اللغوية وأنظمته، وإنَّ المنهج البنيوي الشكلاني يُشيرُ إلى سيطرة النظام على العناصر، ويهدف إلى استخلاص النظام من خلال العلاقات القائمة بين العناصر"(عبدالرحمن بدوي:1971م:76). وذلك من خلال رؤية لغوية شاملة تسعى لتحديد البنى وأنساقها، وتؤكد البنائية الشكلانية استقلال النصوص عن أيّ أبعاد خارجية، ومثال هذه الأبعاد الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وتبتعد البنائية اللغوية بالنص عن مؤلفه ومتلقيه، وتعود بالنص إلى داخله لتجلي المعنى، وتهدف:"البنائية في الدراسات اللغوية إلى بيان أنَّ اللغة نظام محكم مترابط الأجزاء، له تركيب خاص ابتداء منه تفهم أشكال اللغة وتحولاتها"(عبدالرحمن بدوي:1971م:76).

وترسخ البنائية مفهوم الأنظمة التي تهيمن على النصوص وتحكمها، وفي حال الكشف عن النظام فإنك تصل إلى فهم البنية العميقة التي يخفيها النص وراء مجموعة من العلاقات، والأدب: "في بداية الأمر نتاج لغة، وبما أنَّ البنيوية من جهتها منهج لساني بامتياز، فاللقاء الأكثر احتمالاً ينبغي أنْ يحدث في ميدان المواد اللسانية: فالأصوات والأشكال والكلمات والجمل تؤلف الموضوع المشترك بين اللساني والفقيه اللغوي الذي يدرس النصوص إلى درجة أنّه أمكن في البدايات الحماسية للحركة الشكلانية الروسية تحديد الأدب بوصفه لهجة بسيطة والنظر إلى دراسته"(ج. مونان وآخرون:1991م:15).

ويلاحظ أنَّ البنيوية الشكلانية ترتكز على:" قوانين توازن تؤثر على عناصره، وترتهن في كل حقبة من التاريخ بالنظام اللغوي المتزامن: بالفعل، والعلاقة الأساسية التي تدخل في نطاق اللغة هي عبارة عن تطابق بين الإشارة والمعنى، ومن المقرر أنَّ تؤلف مجموعة المعاني نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات إذ تبيّن: "أنَّ هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاماً متزامناً إذْ يلاحظ أنَّ هذه العلاقات مترابطة"(عمر مهيبيل:2007م:33).

وأمَّا حقل بحث البنائية فهو العلاقات اللغوية التي توصل إلى الأنظمة والأنساق التي تُشكِلُ النصوص، ويلحظ أنَّ البنائية:(الشكلانية أو اللغوية أو اللسانية أو أولى البنيويات أو البنيوية) عندما تطلق بلا تقييد يقصد بها البنيوية الشكلانية التي تقوم على البحث عن الأنظمة النصية وفق مستويات اللغة التي:"صار من البديهي القول: إنَّ الأصول الأولى للبنيوية تكونت في مجال الألسنية أو علم اللغة الحديث، ثم امتدت بعد ذلك إلى مجالات معرفية متعددة"(عمر مهبيل:21). ويمكن وصف البنيوية بأنَّها بنيويات بسبب دخولها إلى حقول منهجية عديدة.

وأمَّا أهم مراكز البنائية فهي فرنسا حالياً التي تمثل مركز الإشعاع في الدراسات البنائية على عادتها في بلد لاقط يحتضن المذاهب والنظريات، وقد قامت بعض المراكز العلمية

في (باريس) بأداء هذا الدور من أهمها:(الكوليج دي فرانس) الذي تنتظم فيه جملة حلقات الدرس التي تربط بين الفلسفة والأنثروبولوجيا، وعلم اللغة على عاتق مجموعة من كبار المفكرين ذوي القامات العالمية، ومثل:(ليفي ستراوس) في علم الإنسان، و(بنفينست) في علم اللغة، و(فوكو) في الفلسفة، و(ارون) في علم الاجتماع، وتمضي الدراسة حرة في هذا المركز فلا تستهدف منح شهادات معينة"(محمد سويرقي:1991م:208).

وتنطلق البنائية من فرنسا لتشع في مختلف الحقول العلمية والأدبية، وأمَّا عن علاقة البنيوية الشكلانية بالإنسان فتصف الإنسان بأنَّه:" نسقٌ منتظمٌ من البنى الثابتة، الموجودة سلفاً وجعلته الناطق باسمها، كما أنَّ البنى اخترقته، وأسكتت صوت الإرادة فيه، وصارت المُعبرَ الوحيد عنه بأوجه متعددة أهمها: السيكولوجي، الاقتصادي، والأيديولوجي، والواقع أنَّ البنيوية انتصرت للعلم على حساب الإنسان"(عمر مهيبل:2007م:24).

ويمكن أنْ يقصد بالعلمية في البنائية المنهجية الموضوعية والمقاربة للعلمية في تناول النص الأدبي داخلياً: "ومن هنا فإنَّ الأدب عندهم ظاهرة لغوية سيميولوجية تنطلق على حدّ تعبيرهم من المادة اللغوية في مجموعة من الأنظمة الرمزية كما يقول ذلك نقاد حلقة براغ، ونتيجة لهذه الرؤية فإنَّ العمل الشعري عند الشكليين إنَّما هو تصرف في اللغة لا تمثيل للواقع، فهذا الواقع يظل متمتعاً بوجود كوني تجريبي مجاوز للأدب وبعيد عنه، وإنْ كان هذا الأخير يُشيرُ إليه فحسب"(محمد سويرقي:1991م:57)، والبنائية الشكلانية ترى الأدب من خلال منهجية شكلانية تتعامل مع الأدب بوصفه واقعة لغوية، ومن الأمثلة على البنية تقسم القصيدة الشعرية إلى بنى مستقلة كما فعل

إنَّ مفهوم البنائية ينسب للبنية التي توصف بأنَّها وجود: "وهمي متعال، لا بذاتها، بل بالتشخيصات التي تستمد وجودها منها"(سعيد الغامدي:1991م:32).

وإن البنية: "تتشابه في تكوينها مع تكوين الميزان الصرفي، فأوزان الصرف تمثل وجوداً وهمياً متعالياً، وكذلك الأمر في أوزان بحور الشعر العربي التي تشكل حالة من الوجود بالقوة وليس بالفعل أو الذات، ويهدف هذا الوجود في البنية إلى تطبيق الرؤية الذهنية التجريدية، وتمثيل وجودها في النصوص الأدبية من خلال مقاربة مصطلح البنائية، وتمثل البنية محاولة للبحث عن أنظمة النصوص الأدبية وتقديمها، وتصور البنى يعتمد على منطقية وعقلانية المحلل البنائي، وتصوره للنص الأدبي المُحلل وقدرته على توجيه البنى النصية وتفسيرها، وإنَّ أيَّ محاولة لتفسير البنية أو تقديمها تشكل مقاربة أو وصفاً لمساعدة الناقد الأدبي في فهم البنية، ولا يمكن لمحللٍ أنْ يدّعي القدرة على تبيان أبعاد البنية إنما هي محاولات لتقريب صورة البنية، وأمَّا طريقة تعامل البنائية مع النصوص: "فالتحليل البنائي يسير على الوجوه الآتية:

1. تحديد أبنية الدلالة الأولية.
2. تقسيم الوحدات الكبيرة إلى أبنيتها الدلالية الصغرى.
3. تحديد مستويات ومحاور المقال.
4. الوصول إلى النماذج التي ينتظم طبقاً لها"(محمد سويرقي:1991م:204).

وهذه الخطوات النصية البنائية تسير وفق مفاهيم أهمها:

أولاً: البنيـة؛ إنَّ أكثـر المناهـج النقديـة الأدبيـة تأثيـراً علـى الإطـلاق فـي الحركـة النقديـة الأدبيـة العربيـة والغربيـة هـو المنهـج البنائي، ولا شـك أنَّ البنائيـة بنائيـات متعـددة فرضتهـا الحاجـة النقديـة الأدبيـة، وبسـطت البنيويـة نفوذهـا علـى النصـوص الأدبيـة الغربيـة ردحـاً مـن الزمـن فـي القـرن العشـرين، وبدايـات القـرن الحـادي والعشـرين، ولـم تقتصـر الجهـود البنائيـة علـى اللغـة والأدب بـل امتـدت إلـى حقول:(الكيميـاء، والفيزيـاء، والأزيـاء، والتصميـم وكثيـر مـن الحقـول المعرفيـة).

وتسـهم البنائية بانتقاداتها الجذرية للإنسـان الغربي وبنيته الحضارية إسـهاماً كبيراً في إسـقاط الصورة المثالية لهذا (الإنسـان المتفوق: الإنسـان الأعلى) بتعبير (نيتشـه) الإنسـان الذي بسـط سـلطته ونفـوذه على أجزاء كبيـرة مـن المعمـورة بقـوة الحديد والنار لمـدة زمنيـة طويلة"(عمـر مهبيـل:2007م:177)

وتعـزل البنائيـة الشـكلانية النـص عـن إنسـانيته، وتتعامـل معـه بوصفـه بنيـة لغويـة، وإنّ بعـض الباحثيـن يحـددون: "البنيـة بأنّهـا ترجمـة لمجموعـة مـن العلاقـات بيـن عناصـر مختلفـة أو عمليـات أوليـة، علـى شـرط أنْ يصـل الباحـث إلـى تحديـد خصائـص المجموعـة، والعلاقـات القائمـة فيما بينها مـن وجهـة نظـر معينة"(محمـد سـويرقي:1991م:177)، والنظـام في البنيويـة الشـكلانية والأنسـاق والعلاقـات أهـم مـن إنسـانية النـص وعلاقتـه بمؤلفـه.

وأمَّـا البنيـة المفهـوم المحتمـل للبنيـة فهي:"نسـق مـن العلاقـات الباطنـة - المدركـة وفقـاً لمبـدأ الأولويـة المطلقـة للـكل علـى الأجـزاء- لـه قوانينـه الخاصـة المحايثـة مـن حيـث هـو نسـق يتصـف بالوحـدة الداخليـة والانتظـام الذاتي"(كريزويـل إديـت:1993م:413) ويمكـن أنْ توجـد فـي بعـض النصـوص الأدبيـة بنيـة كبـرى أو مهيمنـة تطغـى علـى كل البنـى داخـل النصـوص الأدبيـة بـل تُملي علـى النـص الأدبي نظامـه وسـيرورته، وربمـا تشـكل البنيـة المهيمنـة أو الكبـرى نهجـاً مفتاحيـاً للنـص الأدبي يمكـن التعامـل مـن خلالـه مـع النـص الأدبي، وهكـذا تكون:"الأهـم للبنيـة النصيـة قـراءة فضـاء العمـل، هـذا هـو الـذي سـيعتمد عليـه فـي بنـاء النـص، وإقامـة العلاقـات بيـن الوحـدات الوظيفيـة فـي هـذا البنـاء"(محمـد الجـزار:2001م:274)، ويلحـظ تطـور المعالجـات البنائيـة الفلسـفية للكـون والإنسـان والواقـع والنـص مـن خـلال رؤيـة واعيـة لممارسـة منهجيـة متميـزة.

ومـن الأمثلـة علـى البنيـة فـي القصيـدة الشـعرية تحليـل (كمـال أبـو ديـب) لقصيـدة لبيـد بـن ربيعـة العامـري (عَفَـتِ الدِّيَـارُ مَحَلُّهَـا فَمُقَامُهَـا // بِمِنَـىً تَأَبَّـدَ غَوْلُهَـا فَرِجَامُهَـا) إذْ يُحـددُ البنيـة فـي القصيـدة التـي تقـوم وفـق ثنائيـة (القطـع / الوصـل) ويظهـر مفهـوم القطـع فـي: " الانقطـاع للديـار للمـكان والزمـان وانقطـاع الإنسـان للنـاس والحبيبـة مـع الذيـن يسـيئون معاملتـه، القطـع مـن توقفـه عنـد وسـيلة ذلـك وهـي للناقـة تمثيـلاً للانصـراف عمـن يقطـع علاقتـه بـه، ويلاحـق التّشـبيه زخـم هـذا القطـع مـرة بالغمـام الخفيـف، ومـرّة بالأتـان الواسـق التـي يغـار عليهـا فحلهـا، ومـرة بالبقـرة الوحشـية المسـبوعة انقطعـت عـن طفلهـا..." (كمـال أبـو ديـب:1986 :71)، ويتضـح أنَّ البنيـة مفهـوم افتراضـي يظهـر فـي النـص الأدبي تلبيـة لمطلـب التحليـل البنيـوي لتقسـيم النـص وفـق مقتضـى البنيويـة.

ويمكـن أنْ نقـدم البنيـة بوصفهـا:"صوريـة الشـيء التـي تسـمح بفهمـه، وإدراك تكوينـه وطريقـة تشـغيله، والإنسـان البنائي يتنـاول الواقـع، ويفكـه، ويحللـه، ثـم يقـوم بتركيبـه مـرة

أخرى"(محمد سويرقي:1991م:205). وأمَّا سوسير فينظر: "إلى البنية بوصفها مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي يتم الكشف عن علاقاتها وتحديد طبيعتها، وهو جوهر ما اعتمدته البنيوية في دراستها لمختلف البنيات النصية"(بشير ناوريرتب:2007م:30) وإنْ اختلف مفهوم البنية فهي أول عناصر التحليل في النصوص الأدبية وفق مبادئ المنهج البنائي فتحديد البنى يمثل نقطة الانطلاق في البنائية، والنص الأدبي هو محور الأنشطة البنائية من خلال المعالجات المنهجية التي تتحول إلى بحث عن الأنظمة والأنساق النصية بعد تحديد البنى وتقسيمها، وأما الأساس البنائي فهو تحليل لا تقييم.

ومن المهم الانتباه إلى أنَّ: "مشروع البنائية الأول الذي ظلت البنائية تناضل لوضع النص الأدبي داخله هو الشكلانية أيّ إدخال النص الأدبي في جوانب التحليل الشكلي اللغوي الذي يبحث في مستويات اللغة ويركز عليها، وتسعى البنائية إلى ترسيخ مصطلح البنية الذي يؤكد: "طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أيّ تحول يعرض الواحد منها، أنْ يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى"(زكريا إبراهيم:1979م:35).

والنص الأدبي يتشكل من خلال عدد من البنى النصية، ولتقديم مقاربة لمفهوم البنية يمكن أنْ توصف بكونها:" ليست(صورة) الشيء أو (هيكله) أو (وحدته المادية)، أو (التصميم الكلي) الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنما هي (القانون) الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته، وبعبارة أخرى يمكننا الإشارة إلى أنَّ البنيويين يبحثون عن (بنية) هذا الشيء أو ذاك فإنَّهم لا يتوقفون عند المعنى التجريبي الذي يصنعه الواقع بين أيدينا"(زكريا إبراهيم: 1976م:32). ويتضح أنَّ العنصر الذي يفسر الأنظمة النصية.

المبحث الثالث: أدوات البنائية الشكلانية ومنهجيتها وخصائصها ونموذج تطبيقي لتحليل قصيدة (نشاز في نغمة الحب) وفق المنهج البنيوي

إنَّ البنية توصف بأنها: "نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقاً يتميز بثلاث خصائص: (الكلية، والتحولات، والتنظيم الذاتي)، وكل تحول في أحد عناصر البنية يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى، والبنية هي القانون الذي يحكم تكون المجاميع الكلية من جهة ومعقولية تلك المجاميع من جهة أخرى"(زكريا إبراهيم:2007: 270).

وترتكز البنيوية:"على مفهوم البنية لتعلن شمولها حاملة بذلك فكرة الكلية المشروطة بالحركة والاستقلال كما هو خارج عن حدود النص، وكما أنَّ الأجسام تتشابه في كونها أجساماً وتختلف عن بعضها بما في ذواتها من ملامح خاصّة وقوانين ذاتية فإنَّ النصوص الأدبية تخضع لمعاني الائتلاف والاختلاف"(مصطفى الكيلاني:1992م:59)، التي ترصدها البنائية من خلال ثنائية توافقية وضدية، ومن الأمثلة على شمولية مفهوم البنية تقسيم النصوص الأدبية إلى بنيات تستوعب النصوص الأدبية نموذج تحليل قصيد أبي نواس التي مطلعها (لئن هجرتك بعد الوصل فلم تهجرك صافيةٌ عُقارُ وفق المنهج البنيوي فقد قسم القصيدة إلى بنيتين (نسقين) يشملان محاور القصيدة(عمر طالب: 2012: 3).

ويمكن أنْ تكون أول خطوة في التحليل البنائي تحديد بنى النص بحسب معقولية البنى النصية أو إمكانية وصف النص الأدبية بأسلوب موضوعي، إذْ يمكن تقسيم النص الأدبي إلى عدد من البنى وفق حاجة النص الأدبي التحليلية، وإنَّ البنائية منهج تجريبي يتشكل من خلال: "بنيات عامة، إذْ يهدف الناقد أو الباحث من ورائها إلى التعميم الذي يرتبط بفرض أو بعدد من الفرضيات إلى جانب ارتباطه بالملاحظة المباشرة، ويعتمد عليه الناقد المعاصر

إلى جانب المنهج البنائي لإعطاء عمله صيغة علمية صارمة"(دومينيك مانغونو:2008م:87). ويتجه المنهج البنائي نحو العلمية والمنهجية من خلال تطبيقات للمنهج الذي يعتمد في فهمها على البنية ذات الخصائص الآتية: "الجمُلة، والتحويلات، والضبط الذاتي"(جان بياجيه:1971م:8).

أولاً:(الجملة)

إنَّ الجملة هي الوحدة الأولى التي يمكن دراستها بوصفها بنية وتقدم البنائية تحليلاً لها بوصفها نسقاً من مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، والنص الأدبي يتكون من جُملٍ يمكن تحليلها بنائياً إضافة إلى إمكانية وصفها نسقياً، ويقول شتراوس: "تتسم البنية بطابعٍ المنظومة فهي تتألف من عناصر يستتبع تغيير أحدها تغير العناصر الأخرى كلها، والبنية منظومة مركبة وليست بسيطة فلها عناصر، وهذه العناصر تربطها علاقات، وتغيير أحد العناصر يؤدي إلى تغيير العناصر كلها، والمنظومة يسودها ترابط داخلي، والتحليل لا يمكن أنْ يكتفي بدراسة الحدود، بل هو ملزم أنْ يدرك ما وراء هذه الحدود، والعلاقات التي توحدها، ويظهر العلاقات وحدها تشكل موضوعه الحقيقي"(محمد عواد:1993م:52). ومن الأمثلة على الكشف عن مستويات البنية دراسة قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب قراءة بنيوية لحمدي شريف سنية المنشورة سنة 2016 في جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم- في الجزائر، إذ استخرج مستويات الجملة بنيوياً في قصيدة السياب، ويطلق حكماً على الجُمل في قصيدة أنشودة المطر إذْ يجد:" ترابطاً وتماسكاً بين الكلمات والجُملِ بعضها ببعض وهو ما يسمى الفصل والوصل" (حمدي سنية:2016: 62).

ولاشك بأنَّ تجاهل المؤلف والسياق الخارجي في البنيوية ربما يؤدي إلى تفريغ الأدب من وظيفته وأدى هذا إلى إغلاق البنيوية وضرورة إدخال عناصر خارجية لتصبح البنيوية اجتماعية ونفسية.

ثانياً: التحولات

إنَّ التحولات مجموعة من التطورات التي تتصف بالتغيير من خلال نمذجتها أيّ تحويلها إلى نماذج قابلة للدراسة والتحليل والوصف، والتحولات ((Transformations تُعدُّ ميزة الجُملِ البنائية التي تتمسك بقوانين تركيبها وتكون عندئذ بناءة (Structurantes) بطبيعتها، ويمكن تفسير هذه الازدواجية؛ بأن تكون دائماً وبالوقت نفسه بناءة ومبنية، إذْ تفسر بموضع أولي شيوع هذا المفهوم الذي يؤمن، بوصفه (النظام) عند كورنو (حالة خاصة بالنسبة للبنيات الرياضية الحالية) معقوليته بممارسته هو بنفسه، وهكذا لا يمكن لنشاط بنائي إلا أنْ يقوم على مجموعة تحويلات"(جان بياجيه:1971م:11).

وربما تتصل التحولات ببنية فهم الثنائيات، والتحولات في البنية تعتمد على القيم الثنائية التي تتشكل منها النصوص الأدبية إذْ توصف التحولات بأنَّها:"نموذج البنية بالتحولات؛ فكل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحولات التي يطابق كلّ تحول منها نموذجاً من أصل واحد، إذْ يلحظ أنَّ مجموع التحولات يشكل مجموعة من النماذج، فهناك علاقة وثيقة بين مفهوم التحول ومفهوم البنية"(كلود شتراوس:1993م:52) فالبنائية تعتمد على رصد ملامح النص الأدبي من خلال القيم الخلافية والثنائيات الضدية، ومن الأمثلة على التحولات تحليل(كمال

أبو ديب) لقصيدة لبيد بن ربيعة العامري (عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا // بِمِنَىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا) إذْ يُحددُ التحولات البنائية التي تعصف بالقصيدة.

ثالثاً: الاعتماد على الثنائيات الخلافية والاتفاقية

إنَّ المنهج البنائي تبلور: "عندما أدرك الباحثون ضرورة مقابلة مجموعات متنوعة من الظواهر وتنظيمها- لا بالرغم من اختلافها - ولكن بفضل هذا الاختلاف نفسه"(محمد سيرقي:1991م:196) والثنائيات الضدية التي تتوصل البنائيات إليها تمثل رؤية منهجية منطقية في تحليل النصوص الأدبية، إذْ يُشكلُ النص الأدبي وحدة موضوعية يمكن البحث عن عناصر الاختلاف والاتفاق فيه بغية تقديم تحليل مناسب.

رابعاً: التحليل لا التقييم من خلال ضبط ذاتي

إنَّ التطور في المنهج البنائي جعل الحكم بالجودة أو الرداءة ثانوياً، ويلاحظ أنَّ البنائية تبتعد عن إصدار الأحكام التقيمية على الأعمال الأدبية مثل الجودة والرداءة، فالشكل الأدبي عند البنائية تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه، ويقول (بارت):" إنَّ التحليل البنائي قد يبدو هيناً يسيراً إذا اقتصر على مجرد الثرثرة المسلية عن تصميم العمل الأدبي؛ لكنَّه كي يبحث عن البنية لا بد له أولاً من أنْ يعرف المنطق ونماذجه؛ ولن يتمكن الباحث من الوصول إلى أدبية الأدب بالاعتماد على نظرية متماسكة"(محمد سويرقي:1991م:333).

وإنَّ كشف النظام والنسق والبنية أولوية بنائية تتفوق على منهجية إطلاق الأحكام على النصوص الأدبية، وربما كان عدم إطلاق الأحكام من أبرز الجوانب في الحداثة النقدية المنهجية ويظهر أنَّ (شارل بالي) من خلال محاولة تطبيق منهج علم اللغة العام في النصوص الأدبية فاكتشاف: "مفهوم البنيوية في علم اللغة دفع (بارت وتودوروف) وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب"(شكري ماضي،2015م:174) والاكتفاء به دون الوصول إلى تقييم النصوص الأدبية، وتحليل النص الأدبي بنيوياً لا يحتاج إلى أحكام بل يكتفي بالتحليل.

وقد أسهم في غياب الأحكام عن البنائية: "استعارة النقد البنيوي للكثير من مصطلحات ومفاهيم الطرح اللساني كمفهوم اللغة ومختلف الثنائيات، ولاسيما ثنائية (الدال والمدلول) و(الداخل والخارج) ثم النظرة الوصفية، ومبدأ الاستقلالية والقول بالاعتباطية من أجل إطلاق سراح العلامة من قيد السلاسل المعجمية، وما إلى ذلك من المؤثرات اللسانية الأخرى التي جعلت من البنيوية أطروحة لسانية بامتياز"(بشير ناوريريت:2007م:30).

والمصطلحات اللسانية تعفي من الحكم على النصوص الأدبية، ولقد أثرت البنائية في النقد الجديد الذي يصف بأنَّه:" حركة نقدية تدعو إلى التخلي عن البحث عن المعايير الجمالية في الآثار الأدبية وتعدُّ وظيفة النقد الحقيقية في فهم المؤلفات الأدبية وتفسيرها من خلال تحليلها وفق المعايير الشكلية واللغوية"(دومينيك،مانغونو:2008م:96) ويبدو أنَّ البحث عن المعايير الجمالية في النصوص الأدبية يفرض وجود الأحكام فإذا أطلقت حكماً جمالياً فلا بد من تقديم تعليل لهذا الحكم الجمالي، وربما يحتاج الحكم إلى الدفاع عنه من خلال منهجية محكمة، وهذا الحكم ودفاعه وتعليله ممّا دفع البنيوية إلى الابتعاد عن إطلاق الأحكام؛ لأنه سيدخل في إطار الذاتية والخروج من الإطار البنيوي الموضوعي، فالبنائية تتجنب الأحكام النقدية الجمالية وإطلاق الأحكام حفاظاً على الموضوعية، ويتفق هذا مع مبادئ البنائي في

عدم إطلاقها للأحكام، وربما تكتفي بالتحليل النقدي، إذْ تفترض البنائية:" وجود فعل إنساني معين أو ظاهرة ذات معنى فإنَّ ذلك يقتضي بالضرورة وجود نظام عميق يقف وراء هذا الفعل أو هذه الظاهرة، ويسعى المحلل البنيوي إلى اكتشاف النظام الكامن وراء الفوضى البادية- في النصوص الأدبية - وبذلك يتم تبيان القانون الذي تحتكم له هذه الظواهر أو الأحداث أو الأشياء التي تعمل طبقاً له رغم اختلافها، إنَّه يرصد تلك العلاقات الباطنة التي تنبع من داخل الظواهر نفسها وتحركها وتضمن لها البقاء والاستمرار والتجدد"(محمود العشيري:2003م:52).ومسألة إطلاق الأحكام التي لا تتوافق مع البنائية حيث تعتمد البنائية على ضبط البنية من خلال تحليل لا يقدم أحكاماً تقييّة.

ويمكن تعريف البنائية بوصفها: "تيارٌ أدبي يمثل التحوّل الداخلي في النسق الأدبي في صورة اختيار غير مشعور به، إذْ يقوم به جماعة من النقاد والأدباء، وتظهر في جماع مؤلفاتهم الأدبية والنقدية في مرحلة تاريخية معينة" (دومينيك مانغونو:2008م:29) ويتشكل مفهوم الحكم على النصوص الأدبية في النقد الأدبي من الجانب الذاتي وليس الموضوعي، وربما حاولت البنائية أنْ تحدث خلخلة في الجانب الذاتي الذي يعتمد عليه النقد الأدبي الذوقي، وأمَّا دراسة البنى والأنساق فتعتمد على المنهج الداخلي، وتبحث:"البنيوية في علاقة العناصر بعضها ببعض كشفاً عن وحدة العمل الكلية، وذلك من خلال نموذج يقدمه الباحث أشبه ما يكون بالنموذج الهندسي أو الرياضي، ويستطيع هذا النموذج أنْ يستوعب العناصر التي يتكون منها العمل على نحو يبرز نظام العلاقات الذي يصل بين هذه العناصر، سواء أكانت تلك العناصر ظاهرة أم خفية(نبيلة إبراهيم:1997م:22).

وأمَّا مفهوم الضبط الذاتي فيقصد به البنية التي: "تستطيع أنْ تضبط ذاتها، وتؤدي إلى الحفاظ عليها، وإلى نوع من الانغلاق"(جان بياجيه:1971م:13) والبنية متجددة تحفظ وجودها من خلال ضبطها الذاتي.

خامساً: تحول البنائي من الداخل إلى الخارج

إنَّ البنائية تركز على البحث في الأنظمة والأحكام والأنساق وليس على إطلاق الأحكام وفق نهجين أولهما: البنائية الداخلية (البنيوية اللغوية أو الشكلانية أو اللسانية) علماً أنَّ هذه التسميات تَردُ في كتابات النقاد للتعبير عن المنهج البنائي ذاته الذي يقتصر على البحث عن البنى اللغوية وأنظمتها وأنساقها وعلاقتها وعلامتها التعاقبية والتزامنية وتحديد البنى المهيمنة ضمن مستويات اللغة العامة التي تكشف وظيفة كل بنية وعلاقتها وأنساقها وأنظمتها وفق دراسة المستويات المستهدفة.

ويلحظ أنّ النهج البنائي منطقي في معالجة النصوص وعدم الدخول في الجوانب الاجتماعية أو السياسية أو البيئة: "فالبنائية تدعي أنَّه لا أهمية لطبيعة كل عنصر في أية حالة معينة بحد ذاتها، وأنَّ هذه الطبيعة تقررها علاقة العنصر، وكل العناصر الأخرى ذات العلاقة بتلك الحالة، وباختصار، لا يمكن إدراك الأهمية الكاملة لأي كيان أو أية خبرة ما لم يتفاعل الكيان مع البنية التي يؤلف جزءاً منها"(ترنس هوكز:1986م:14) فالوصول إلى مكامن القوة والأهمية في النصوص الأدبية يحتاج إلى التحليل الموضوعي النصي الذي يتشكل من خلال بنيات وأنساق.

وأمّا النهج الثاني فهو البنائية الخارجية التي تشكل تطوراً في الدراسات البنائية من خلال إدخال المنهجيات الخارجية في معالجة النصوص الأدبية، ويمثلها مجموعة مناهج أهمها البنائية: (التكوينية، والنفسية، والأنثروبيولوجية) علماً أنَّ مسميات هذه المناهج تتنوع وبحسب استخدام النقاد لتلك التسميات، ويمثل هذا النهج البنائي صورة لتحولات منافية تفتح الآفاق على بعض الجوانب التي لا تستهدفها البنائية الشكلانية (ترنس هوكيز:1986م:15). وتمثل البنائية التكوينية مزج بين البنيوية والجوانب الاجتماعية لتحقيق تطور البنيوية من خلال فتح آفاق العلاقة بين الجانبين الداخلي والخارجي في النص الأدبي، ويشكل تقديم بُعْد إضافي للنص توظيفاً للمعرفة المنهجية لتطوير المنهج البنائي الذي يمثل منهجاً متقدماً في دراسة النصوص الأدبية، وتستأنس البنائية النفسية بمحاولات التفسير النفسية لتقديم معانٍ جديدة للنصوص الأدبية.

ويلحظ أنَّ المنهج البنائي يتبنى رؤية جديدة للإنسان والعالم والنص الأدبي تختلف عن رؤية المناهج النقدية السابقة؛ لأنَّ تقديم العالم بوصفه نظاماً يمكن فهمه واستيعابه، وأمَّا الإنسان فيمكن أنْ يحضر في تكوين النظام، ويمكن عزله أو إماتته أو تغيبه، فالبنيوية ذات طروحات تتميز بفرادتها وقدرتها على التجديد ومواكبة التحولات، وأمَا النص الأدبي فيمكن تقديمه بوصفه بنيات تُفسرُ بطريقة عميقة من أجل الوصول إلى المعنى من خلال الحدود والقوانين والضوابط التي تفرضها البنائية على النص الأدبي: "فالبنيوية تشكل بالفعل طريقة وليس عقيدة وبمقدار ما تصبح عقائدية بقدر ما تؤدي إلى تعدد العقائد باعتبار أن البنيوية طريقة، فلا يمكن لها أن تكون محدودة بتطبيقاتها"(جان بياجه:1971م:116).

وهذا يعني طرح البنائية لمفاهيم أهمها:(النظام، النسق، البنية، العلاقات، العلامة، التزامن، التعاقب، البنية المهيمنة، الثنائيات التوافقية، والثنائيات الضدية...) تعالج من خلالها البنيوية النص الأدبي وتقدم مثل أي منهج نقدي حلولاً وإشكاليات تتمظهر من خلال المنهجية محاولات البنائية التوصل إلى مضامين النصوص الأدبية، ويمكن أنْ يدرس النص الأدبي من خلال كشف أنواع المفاهيم البنيوية الجديدة ممّا يغني الحركة النقدية الأدبية، فالبنائية تنظر إلى النص الأدبي بوصفه كياناً من العلاقات والأنظمة تولد المعاني في النصوص الأدبية، وأمّا:"مهمة الناقد البنائي فهي التركيز على الجوهر الداخلي للنص أو بنيته العميقة وهي التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً"(شكري ماضي:1997م:30) فالنص الأدبي من وجهة نظر البنائية مجموعة من البنى التي تشكل المعنى، وتعزل المعنى عن ظروف نشأته، وتتجه البنائية نحو تحديد هذه البنى ومحاولة تفسيرها بطريقة منهجية علمية، وأدى ذلك تطورات منهجية ما بعد بنيوية للبحث عن مزيدٍ من علاقات النص الأدبي الجمالية والأسلوبية.

سادساً: علاقات نصية نحو سياق داخلي

إنَّ النص الأدبي يمثل شبكة من العلاقات التي تُنتجُ معاني، ويمتلك علاقات داخلية تجسدها البنى في علاقاتها، وأمَّا مفهوم العلاقات فهو يرتبط: "بمفهوم اللغة نفسها عند البنيويين على أساس أنَّ اللغة نظام من العلاقات التي ليس للأجزاء خارجها أية هوية مستقلة، وعلى نحو تصبح معه عناصر البنية نقاط التقاء وظيفية لشبكة من العلاقات النسقية الآنية، إذْ سنصل إلى مفهوم (الهوية العلائقية) التي تتحدد معها الوحدات بوظيفتها داخل العلاقات الآنية للبنية، وذلك على النقيض من فكرة (الهوية التاريخية) أو

(التطورية)"(جابر عصفور:1993م:406). وقد مدت البنيوية آفاقها لتبني جسوراً إلى الأسلوبية وتفيد من أدواتها في تحليل النص.

ويلحظ أنَّ هذه العلاقات النصية تتحول إلى سياقات يمكن وصفها؛ لأنها تعتمد في دراستها للنصوص على العلاقات والأنظمة والأنساق الداخلية للنصوص الأدبية من خلال بحثٍ مستويات اللغة الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالي وغيرها من المستويات اللغوية التي يمكن التركيز عليها في التحليل اللغوي.

سابعاً: نموذج تطبيقي لتحليل قصيدة (نشاز في نغمة الحب) للشاعر محمد الثبيتي

"فيكِ إصرارٌ وفينا كبرياءْ
فافعلي ما شئتِ نفعلُ ما نشاءْ
واملأي دنياكِ سُخفاً تافهاً
نَمْلأ الآفاق شعراً وغناءْ
لن تظلِّي ذلك الحلم الذي
يزرعُ الأشواقَ في روضِ الفضاءْ
لن تظلِّي ذلك النور الذي
يملأ الآفاق حسناً وبهاءْ
قد قتلنا الشوقَ في مهد الهوى
ووجدنا عنه في الذكرى عزاءْ
وأَرَقْنَا الماءَ من كاساتنا
وصددنا عنه أكباداً ظماءْ
كم جمعنا فيك أشتات المنى
وزرعنا فيك أسباب الرجاءْ
ورفعنا من هوانا هيكلاً
يملأ الأفق جلالاً وضياءْ
ليس بِدعاً أن تسيئي فَلَكَمْ
كفرَ الحسنُ جهاراً، وأساءْ"(محمد الثبيتي:2009:283)

تبدأ القصيدة في بناء صورة العنوان (نشاز في نغمة الحب) الذي يشير إلى أنَّ الحب لا يسري وفق نغمة منتظمة بل في حالة من عدم الانتظام تسمى النشاز، ويظهر النشاز من خلال سلسلة من الثنائيات الضدية التي في البنية الأولى من القصيدة: "فيكِ إصرارٌ/ وفينا كبرياءْ/فافعلي ماشئتِ/ نفعلُ ما نشاءْ/ واملأي دنياكِ سُخفاً تافهاً/نَمْلأ الآفاق شعراً وغناءْ"(محمد الثبيتي:2009:283) وتتواصل الثنائية الضدية لتؤكد رؤية البنية الأولى في الاختلاف الذي يؤدي إلى القطيعة، والثنائيات البنية الأولى ضدية والعلاقات تبدو مضطربة بسبب الثنائيات الضدية في البنية الأولى، وأمّا صيغة(فيك) تعكسها صيغة (فينا)، وهذا يعني اختلاف التوجه بينهما، فالعلاقة (تنافي وتضاد) تتجلى في جملة (واملأي

دنياكِ سُخفاً تافهاً) فهذا بناءُ نحو نقض لعلاقة الوصل، ويظهر التناغم الصوتي من خلال (شئتِ/ نشاءْ) في الشين والهمزة، ويظهر السكون في ختام الأشطر الشعرية في البنية الأولى في (كبرياءْ، نشاءْ، غناءْ) وذلك يعني سكون العلاقة المتولدة من الخواتيم الساكنة في نهاية الأشطر الشعرية، والحيوية الصوتية الموسيقة لا تظهر في بنية القصيدة الأولى.

وتتطور القصيدة في البنية الثانية من خلال التخفي والتشابك وإعلان القطيعة وإعادة تشكيل الحُلُمِ فلن تظل المحبوبة هي الحلم إذْ يقول:"لن تظلّي ذلك الحلم الذي/ يزرعُ الأشواقَ في روضِ الفضاءْ/لن تظلّي ذلك النور الذي/ يملأ الآفاق حسناً وبهاءْ"(محمد الثبيتي:2009:283) وبهذا تتطور البنية الثانية باتجاه المفارقة من خلال تكرار جملة (لن تظلي) لتأكيد التطور نحو القطيعة، وإعادة تشكيل الحُلم من خلال تحول جذري في العلاقة يظهر من خلال المفارقة في مجموعة الكلمات الدالة على الأمل والتفاؤل:(حلمٌ ونورٌ وحسنٌ وضياء) وهذا في الماضي، وأما الحاضر فقد تدل الكلمات على (القتل والذكرى والعزاء)، وهذا ما يتجلى في البنية الثالثة من القصيدة:" قتلنا الشوقَ في مهد الهوى/ووجدنا عنه في الذكرى عزاءْ"(محمد الثبيتي:2009:283) وهذا خروج عن طبيعة العلاقة في الماضي، وتحولٌ من الشوق إلى قتل الشوق في الحاضر، ولتحقيق التوازن في بنى القصيدة لا بد من تمجيد التحول عن الحب، كما مُجد الحب في البنية الثانية، وتبديل الذكرى إلى عزاء، والاستمرار في تحويل الصفاء والمحبة إلى ظماء وصدود من خلال قوله: "وأَرَقْنَا الماءَ من كاساتنا/ وصددنا عنه أكباداً ظماءْ"(محمد الثبيتي:2009:283)، وهذا يظهر التحولات نحو السلبية واستمرار النغمة النشاز في الحب، فالحب كان في الماضي؛ ولكنه الآن أمنية لن تتحقق: "كم جمعنا فيك أشتات المنى/وزرعنا فيك أسباب الرجاءْ"(محمد الثبيتي:2009:283) فالتحولات جوهرية مستمرة في البنية الثالثة من القصيدة، وتظهر من خلال المقاربات الضدية بين ماضي العلاقة المشرق وحاضرها المحتضر، ولا بد من إظهار الانتقال من الوصل إلى القطع في العلاقة، وتعود البنية الرابعة في القصيدة نحو الماضي لتظهر عمق الإحساس بأهمية الحب: "ورفعنا من هوانا هيكلاً/يملأ الأفق جلالاً وضياءْ"(محمد الثبيتي:2009:283) فالحب في بدايته حركة احتفالية تملأ الوجود جلالاً وضياء؛ ولكنَّه لم يبقَ على هذه الحال؛ بسبب النشاز والتناقضات والإساءة و "ليس بِدعاً أن تسيئي فَلَكَمْ/ كفرَ الحسنُ جهاراً، وأساءْ"(محمد الثبيتي:2009:283)، وتستقر بنية القصيدة الرابعة الأخيرة على الإساءة التي تختم بها بنى القصيدة، مع وجود عتب على القطع والكفران الذي يهيمن على بنى القصيدة التي تستقر في نهايتها على جمع العتب مع الإساءة من خلال الإقرار بالتحول الجذري من الحب إلى القطع، وتظهر القصيدة في بنيتها التمحور حول مفهوم جديد من الإساءة التي تنقض الحب، فالثنائية في القصيدة تظهر تحول العلاقة من (الوصل الذي يمثل الحب) إلى (القطع الذي يمثل الإساءة)، وتتحرك القصيدة بين الثنائيات في حالة من الاضطراب لتصل إلى تغليب القطع.

الخاتمة

تُعدُّ البنائية من المناهج النقدية الأدبية ذات الإرث المنهجي والتأثير النقدي الكبيرين في الساحة النقدية، إذْ استطاعت أنْ تبسط نفوذها المنهجي والنقدي من خلال تقديمها لحلولٍ جذرية لإشكاليات النقد من خلال نهجها العلمي وفاعليتها المنهجية وأدواتها النقديةِ المتنوعة، وتوصف البنائية بأنها مرحلة حاسمة في الفكر النقدي الأدبي فما قبل البنيوية يختلف عمّا بعدها.

وتقدم البنائية مصطلحات نقدية نصية أهمها:(النظام، النسق، البنية، التعاقب، التزامن، البنية المهيمنة، الثنائيات التوافقية والضدية، الأنساق) التي تشير إلى نقلة نوعية وتحول جذري في الفكر النقدي الأدبي نحو العلمية، وتتعدد أوصف البنائية كونها:(منهجاً، نشاطاً، فلسفة، حركة، مدرسة، عملية، تياراً).

ويوصف التحليل البنائية الشكلاني بأنه يبدأ بالنص الأدبي وينتهي به، فلا يتجاوزه إلى عوامل خارجية، وتسعى البنائية الشكلانية إلى دراسة شبكة العلاقات بين البنى للكشف عن نظام النص من خلال التوصيف التحليلي للجمل والأنساق والأنظمة والعلاقات والمستويات اللغوية، وتؤمن البنيوية الشكلانية بسلطة النص الثاوية خلف علاقات البنى النصية، وتوصف البنائية الشكلانية بأنها ممارسة شكلانية لغوية للكشف عن البنى النصية لاستخلاص أنظمة النصوص وبناها، وتوصف البنائية بأنها ممارسة لغوية لاستخلاص أنظمة النصوص وأبعادها، ويبدأ التحليل البنيوي بوصف ملامح النظام من خلال تحليل الجمل ووصفها كونها بنيات، ثم يشكل تجمع البنيات إلى أنساق وأنظمة، والبنية منظومة مركبة من مجموعة جُمل يتم رصد تحولاتها وفق الثنائيات التوافقية والضدية، ويتم كشف الأنظمة المهيمنة في النصوص الأدبية من خلال عزلها عن الجوانب الخارجية مثل: المؤلف، الأبعاد الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الفلسفية، الفكرية، الأخلاقية، النفسية، وأمَّا أهم أعلام البنائية الشكلانية فهم:(رولان بارت، دي سوسير، جان بياجيه، أديثكر يزول، كلود ليفي شتراوس، ألتوسير، ميشيل فوكو، جاك لاكان، بنفينست، أرون) وغيرهم، ويلاحظ أنْ لكل علم من أعلام البنائية الشكلانية طريقه الخاصة في تطبيق البنيوية الشكلانية مع الحفاظ على قواعد البنائية الشكلانية العامة، وقد تحول بعض أعلام البنيوية عنها إلى دلاليين أو شكلانين.

ويمكن أنْ توصف البنائية الشكلانية بكونها انقلاباً على المناهج الخارجية، مثل: الاجتماعي والنفسي والبيئي؛ لأنها اتجاه نحو العلمية والداخلية، فمعنى النص داخله ولاسيما في أبعاده الاجتماعية أو النفسية أو البيئية، ويمكن وصف البنية بأنها إعادة رسم لصورة النص وصولاً لنظامه من خلال تقسيمه ومحاولة تحليله من خلال الوصول إلى أنظمة النصوص الكلية، واحتوى البحث على أنموذج تطبيق للتحليل قصيدة (نشاز في نغمة الحب) وفق المنهج البنيوي.

المراجع

1. إبراهيم، زكريا (د.ت) مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة: مصر.
2. شولز، روبرت (4891) البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عيود، منشورات اتحاد الكتاب العرب: دمشق،4891.
3. العشيري، محمود، ميريت، نشر (3002) الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، شارع قصر النيل: القاهرة، ط (2).
4. عواد، محمد (3991) منهج التحليل البنيوي عند كلود ليفي شتراوس، مجلة أفكار، عدد (901)، عمان.
5. الغانمي، سعيد (1991) أقنعة النص، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، ط (1).

6. فضل، صلاح (7002) آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات: النظرية ومقاومة النظرية، تحرير وتقديم: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط(1).

7. الكبيسي، عمران (0991) البنيوية في مصنفات روادها مجلة الأقلام، الشؤون الثقافية العامة: العراق، العدد السابع، تموز.

8. الكيلاني، مصطفى (2991) وجود النص (نص الوجود) الدار التونسية للنشر: تونس، ط(1).

9. ليشته، جون (8002) خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة: لبنان، ط(1).

10. ماضي، شكري (7991) في إشكاليات النقد العربي الجديد، دار الفارس: الأردن، ط(1).

11. ماضي، شكري (3102) في نظرية الأدب، شكري ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط(4).

12. إبراهيم، نبيلة (7991) فن القص (في النظرية والتطبيق) مكتبة غريب(الفجالة)، ط(1).

13. مانغونو، دومينيك (8002) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون: لبنان، ترجمة: محمد يحياتن، ط(1).

14. مهيبيل، عمر (7002) من النسق إلى الذات، الدار العربية للنشر والتوزيع: بيروت، ط(1).

15. [51] مونان.ج، جونيت.ج، رفاتير.م (6891) البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، إدارة الشؤون الثقافية العامة، ط(1).

16. ناوريريت، بشير (8002) مناهج النقد الأدبي المعاصر (دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

17. أبو ديب، كمال (6891) الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشّعر الجاهلي) الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، ط(1).

18. هكوز، ترنس(1991) البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، إدارة الشؤون الثقافية العامة، البنيوية والنقد الأدبي، أفريقيا الشرق: لبنان، ط(1).

19. يزويل، جابر (3991) عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح: الكويت، ط(1).

20. بدوي، عبد الرحمن (1791) اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول.

21. زواوي، بغورة (2002) البنيوية منهج أم محتوى، الزواوي، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع (03) أبريل: الكويت.

22. أوبري، وبشير (1791) البنيوية، منشورات عويدات: بيروت، ط(1).

23. بياجيه، جان (1791) البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه، وبشير أوبري، منشورات عويدات: لبنان، ط(1).

24. ثامر، فاضل (4991) الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي، المركز الثقافي العربي: لبنان، ط(1).

25. ثبيتي، محمد(9002) الأعمال الكاملة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت: لبنان، ط(1).

26. جزار، محمد (1002) لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، نشر إيتراك: القاهرة، ط(1).

27. سويرقي، محمد (1991) النقد البنيوي والنص الروائي نماذج تحليلية من النقد العربي (المنهج البنيوي- البنية - الشخصية) دار إفريقيا الشرق: المغرب، ط(1).

28. سنية، حمدي(6102) دراسة قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، جامعة عبدالحميد بن باديس، جامعة عبد الحميد بن باديس(مستغانم): الجزائر

References

1. Ibrahim, Zakaria (D.T.) The Problem of Structure or Lights on Structuralism, Dar Misr for Printing: Egypt.

2. Schulz, Robert (1984) Structuralism in Literature, translated by: Hanna Ayoud, Publications of the Arab Writers Union: Damascus, 1984.

3. Al-Ashiri, Mahmoud, Merritt, Publishing (2003) Modern Literary and Critical Trends (The General Reader›s Guide), Qasr Al-Nil Street: Cairo, Edition (2).

4. Awwad, Muhammad (1993) The Structural Analysis Approach of Claude Levi-Strauss, Afkar Magazine, Issue (109), Amman.

5. Al-Ghanmi, Saeed (1991) Masks of the Text, General Cultural Affairs House: Baghdad, I (1).

6. Fadl, Salah (2007) Horizons of Contemporary Literary Theory Structural or Structural: Theory and Resistance to Theory, edited and presented by: Fakhri Saleh, The Arab Institute for Studies and Publishing: Beirut, vol. (1).

7. Al-Kubaisi, Imran (1990) Structuralism in the works of its pioneers, Al-Aqlam Magazine, General Cultural Affairs: Iraq, No. 7, July.

8. Al-Kilani, Mustafa (1992) The existence of the text (the text of existence), the Tunisian Publishing House: Tunis, Edition (1).

9. Lichte, John (2008) Fifty Key Contemporary Thinkers from Structuralism to Postmodernism, Translated by: Faten Bustani, Center for Unity Studies: Lebanon, Edition (1).

10. Madi, Shukri (1997) in the Problems of New Arab Criticism, Dar Al-Faris: Jordan, I (1).

11. Madi, Shukri (2013) in Theory of Literature, Shukri Madi, Arab Institute for Studies and Publishing: Beirut, 4th edition.

12. Ibrahim, Nabila (1997) The Art of Storytelling (in Theory and Practice), Gharib Library (Al-Faggala), Edition (1).

13. Manguno, Dominic (2008) Key Terms for Discourse Analysis, Arab House for Science, Publishers: Lebanon, translated by: Muhammad Yahyatne, edition (1).

14. Mahabil, Omar (2007) From System to Self, Arab House for Publishing and Distribution: Beirut, Edition (1).

15. Monan J, Jeunet J, Rafatir M (1986) Structuralism and Signology, translated by: Majeed Al-Mashata, Department of General Cultural Affairs, vol. (1).

16. Nauririt, Bashir (2008) Methods of Contemporary Literary Criticism (A Study of Origins, Features, and Theoretical and Applicable Problems), Egyptian General Book Authority: Cairo.

17. Abu Deeb, Kamal (1986) The Persuasive Visions (Towards a Structural Approach in the Study of Pre-Islamic Poetry), The Egyptian Book Organization: Cairo, Edition (1).

18. Hakouz, Trans (1991) Structuralism and Signology, translated by: Majeed Al-Mashata, Department of General Cultural Affairs, Structuralism and Literary Criticism, East Africa: Lebanon, 1st edition.

19. Yaswil, Jaber (1993) The Age of Structuralism, translated by: Jaber Asfour, Dar Suad Al-Sabah: Kuwait, I (1).

20. Badawi, Abd al-Rahman (1971) Language and Logic in Current Studies, World of Thought, Volume Two, Number One.

21. by Badr Shaker Al-Sayyab, Abdul Hamid Ibn Badis University, Abdul Hamid Ibn

Badis University (Mostaghanem): Algeria. Zawawi, Bgura (2002) Structuralism, Approach or Content, Al-Zawawi, World of Thought Magazine, Fourth Issue (30), April: Kuwait.

22. Aubrey, and Bashir (1971) Structuralism, Oweidat Publications: Beirut, 1st edition.

23. Jazzar, Muhammad (2001) The Linguistics of Difference (The Aesthetic Characteristics of Levels of Text Construction in Modern Poetry), ITRAC Publishing: Cairo, Edition (1).

24. Thamer, Fadel (1994) the second in the problematic approach, theory and terminology in the Arab critical discourse, Arab Cultural Center: Lebanon, vol. (1).

25. Thabiti, Muhammad (2009) The Complete Works, The Arab Expansion Foundation, Beirut: Lebanon, Edition (1).

26. Piaget, Jean (1971) Structuralism, translated by: Aref Mneimneh, and Bashir Aubri, Oweidat Publications: Lebanon, 1st edition.

27. Thamer, Fadel (1994) the second in the problematic approach, theory and terminology in the Arab critical discourse, Arab Cultural Center: Lebanon, vol. (1).

28. Thabiti, Muhammad (2009) The Complete Works, The Arab Expansion Foundation, Beirut: Lebanon, Edition (1).

29. Jazzar, Muhammad (2001) The Linguistics of Difference (The Aesthetic Characteristics of Levels of Text Construction in Modern Poetry), ITRAC Publishing: Cairo, Edition (1).

30. Swerki, Muhammad (1991) Structural Criticism and Narrative Text Analytical Models of Arabic Criticism (Structural Approach - Structure - Personality) Dar Africa East: Morocco, vol. (1).

31. Saniya, Hamdi (2016) A study of the poem "The Rain Song"